أ.د. فلك مصطفى الرافعي
رئيسة منتدى العلامة الدكتور مصطفى الرافعي الثقافي – الإعلامي - لبنان

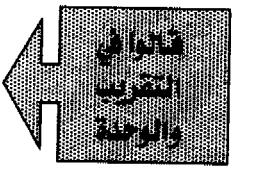

مقاربة في النشأة للوصول الى انشاء في التقريب

في نفس المناخ والبيئة والعادات في بيوت مكة التي عاصرت البعثة المحمدية اختار بيتان يجتمعان في كل شيء ويختلفان في الصفات والنشأة والتربية لتقع عليهما احداث وافعال ونتائج.

البيت الاول: بيت عبدالمطلب بن هاشم.

البيت الثاني: بيت ابوسفيان بن حرب بن أمية.

البيت الاول: كفل حامل الدعوة صغيراً ونصره وآزره.

ثم تولى عمه ابوطالب كفالته وحمايته وأرسى منعته ومن هذا البيت الطاهر أسلم أول فتى قريشي وهو الامام علي بن أبي طالب الذي قارع الكفر وشارك في إظهار الدعوة وقاتل أشد عتاة أتباع هبل.

"الامام اول مشروع استشهادي" حين اختاره النبي لينام في فراشه يوم أُمر بالهجرة.

بيت كان الجد فيه منافحا عن البيت الحرام أمام أبرهة صاحب الفيل.

بيت كان فيه "العم" قلعة منيعة وكانت شعبه ملجأ للمسلمين المضطهدين.

في البيت الثاني جموح نحو التجارة وكنز المال واللهو وحماية الأصنام.

في البيت الأول "صيام" وقبيل الغروب يدق الباب أولاً مسكيناً وثانياً يتيماً وثالثاً أسيراً فيذهب الطعام المتواضع إليهم وينوه التنزيل بذلك "ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً".

في البيت الثاني وبعد إسلامه تشكو صاحبة الدار إلى نبي الله بخل زوجها وهل يحق لها أن تأخذ من ماله دون علمه فتأتي الفتوى "على قدر حاجتكم".

في التقريب الأول الذي صنعه الرسول ما يقرب المعجزة.

١ ـ إنهاء الصراع والخلاف والإقتتال بين قبائل "الأوس والخزرج" أسياد يثرب و صهرهما في بوتقة الإسلام.

٢ ـ أول توأمة إيمانية بين الأنصار "أهل المدينة المنورة" وبين المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم ومنازلهم كرهاً وهرباً من بطش بعض بيوت مكة رواد "دار الندوة" في التقريب الثاني يوم الفتح الكبير خرج النبي بعشرة آلاف مقاتل "لتحرير البيت الحرام"، وكان الجيش بإمرة قائد من الانصار الذي قال على مشارف مكة: "اليوم يوم الملحمة" فأغضب هذا "العنوان" النبي فقال: بل إنه "يوم المرحمة".

وعلى مقربة من الحسم لمعت في خاطر العباس عم النبي "صفقة ايجابية" فهمس في أذن النبي "اجعل لأبي سفيان شيئاً من الأهمية فنفسه تأنس لذلك".

فكانت الجزر الأمنية الأولى لغير المسلمين يحتمون بها.

١ ـ من دخل البيت الحرام فهو آمن.

٢ ـ من دخل بيته فهو آمن.

٣ ـ من دخل بيت أبوسفيان فهو آمن.

ودخل البيت الثاني في الاسلام من هذا الباب المبني على مصالحة مفروضة حفظت له ماء الوجه، فدخلوا في دين الله افواجا فلم تبق سوى راية الإسلام والكل ينتظم خلفها.

وتجلى التقريب النبوي بين الجيش المنتصر وبين بقايا لم تعد تجد في ظل اللاّت والعزى اي أمان.

وكان الخوف يتملكهم فكان التقريب الكبير ساعة سألهم الصادق الأمين.

ما تظنون أني فاعل بكم؟

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال عليه السلام: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

تقريب حقيقي بين منتصر ومهزوم وليس تقريباً بين الحق والباطل لأن الباطل كان زهوقاً فالتقريب في قلب الحق لا يتنازل ولا يخطو خطوة مقابل خطوة بل الخطأ هو من يخطو ويتنازل فليس من انصاف حق.

التقريب إذن بجلاء الحق والمصابرة والمرابطة حوله والتقريب بالحوار وهذا ما فعله النبي عندما عرضت عليه قريش أن يكون أغناها وملكها شرط ترك ما يدعو إليه فلم يقرب دعوتهم الباطلة وصبر حتى أتاه الباطل مؤمنا. ولم يترك النبي وسيلة حوار وإقناع إلاّ قاربها، غير مفرّط بحد من حدود الله.

ويتوصف التقريب أنه الدعوة للحاق بالحق وجادة الصواب.

وبالعودة للبيت الأول ندرك الإمامية الشهيرة التي ذادت عن حياض الدين والأمة ولم تزح عن خطوط الشرع وأوامر الشارع.

ومن البيت الأول كانت اللبنة الأولى للدفاع عن الحق في إنتفاضة الإمام الحسين الذي آمن وعمل بأحكام القرآن وسنة النبي واحاديثه. تعلم الإمام عن جده بالحديث المتفق عليه: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان".

وما كان لسبط النبي المعدّ من السماء ليكون في الحق وللحق.

ما كانت إنتفاضة الحسين من اجل كرسي الخلافة بل لأن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، وها هو الفساد العقيدي قد ظهر عيانا بوأد مبدأ الشورى لمصلحة التوريث والتعيين.

نمطية الحسين تغير المنكر باليد ولو كانت في آخر الأيام وحيدا وما كان ليغيب عن ذهن الحسين عبقريته العسكرية حينما كان جيشه على نقصان يومي فلو أن حساباته

كانت فقط عسكرية لجعل من الانسحاب نصراً كما حصل في معركة مؤتة.

ولكن من للحق غير الحسين وآله.

وهو كان يعلم علم اليقين أن المعركة غير متكافئة لكنه كان القريب من الله بتقريب المسافة لزهق الفساد.

ومن البيت الثاني خرجت معادلة لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انتقصت وهذا لم يقبله النبي في اغراءات قريش فقطع شعرة الرشوة الواضحة.

فالتقريب أولاً في فهم أين يكمن الحق.

والتقريب ثانياً بجهاد لنصرة الحق.

والتقريب ثالثاً بإزاحة ضبابية الفهم الخاطئ والموروثات المدسوسة والتقريب دائماً بنزع فتيل الفتنة التي يقودها المستكبر والطاغية لمزيد من الشرخ بين المذاهب الاسلامية والتقريب يبدأ بجمع ما اتفق عليه؛ وهو الكثير، وبذلك تنحسر وتضيق رقعة القليل المختلف عليه.

لأن المتفق عليه هو الأساس في التوحيد والعبادات والنصوص في الكتاب وفيما صح من احاديث النبي.

فالتقريب بين المذاهب أن لهم جميعاً الاله الواحد والنبي الواحد والكتاب المقدس الواحد.

والتقريب بنود ايمانية بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .

وما اختلفت الأمة في عقيدتها، وما اختلفت على النصوص وانما اختلفت على بعض النفوس التي احدثت في الدين أمراً مردوداً.

لذا فإن الأمة بسوادها تدين لمعسكر واحد هو معسكر الحق وليس من معسكر آخر بل هو ملأ من المرتزقة التي ادخلت السياسة والتوريث والفساد في جسد الأمة الإسلامية فاعترى الجسد علل نقوى عليها.

... معرفة الحق والإنخراط في معسكرة تقريب مطلوب لتقريب في الإختلافات الإجتهادية وتجفيفها.